

تقسم الاتجاهات الفلسفية في الأدب والفنون على اتجاهين أساسيين هما : الاتجاه المثالي، والاتجاه الواقعي، وقد أثر كلا الاتجاهين في حركة الآداب والفنون وتحولاتهما، فضلا عن مدارس النقد التي واكبتها، إذ كرس الاتجاه المثالي الوصول الى مذهب الفن للفن، والمذهب التأثري في النقد، وصولا الى المذهب الرمزي، في حين كرس الاتجاه الواقعي مذهب الواقعي والواقعية الاشتراكية الأوروبية والروسية . ثم المادية والوجودية .

ولكل اتجاه فلسفي أثره في حركة الفنون والآداب وما شملهما من نقد، وسوف نتناول عدد من هؤلاء الفلاسفة الذين أثرت نظرياتهم وافكارهم في النقد الادبي :

1- الفيلسوف الفرنسي ديدرو (1713-1784) :

يعد من أوائل الفلاسفة الذين مهدوا للنظريات الحديث، إذ خالف افلاطون في تفسير الجمال تفسيرا ميتافيزيقيا، على وفق الانعكاس الازلي لعالم المثل الخالد، وتتوقف جمالية الفنون والآداب على وفق قريهما وبعدهما من محاكاة المثل الخالد .

وقد اقام ديدرو نظريته الى الجمال من أن معنى الجمال يتوقف على ادراك العلاقات بين الاشياء والاجزاء، أي بين العمل كاملا وأجزائه . فالجميل هو الذي يحتوي، في ذاته وخارجها، على ما يثير إدراك فكرة العلاقات، المشكلة للظاهرة الجمالية .

ويفرق بين ما هو جميل وما هو لذيذ، فيخرج من صفة الجمال ما ندركه عن طريق حاستي الذوق والشم، كالأطعمة والروائح، لأن ادراك العلاقات فيها لا يوصف بالجمال، وانما يقال له لذيذ، أو طيب. اما ادراك الجمال من خلال العلاقات فيتمثل في الفنون، إذ لا نستطيع أن ندرك الجمال فيها، ما لم نكتشف العلاقات بين أجزائها. فلا نقول عن كلمة أو جملة، في قصيدة أو مسرحية، انها جميلة ما لم نقف على موقعها بين الكلمات أو الجميل والنظام الذي يحتكم اليه ترابطها ضمن العمل الأدبي بأكمله .

ومن دون ادراك العلاقات لا يمكن ان نحكم على النظام من حيث التناسب والتناسق والملائمة، التي تنتج المعنى الذي يشعروا بالجمال . ولعل النظر الى العلاقات بين اجزاء الشيء الجميل هو الذي جعل ديدرو يجزم بأن لا وجولشيء جميل جمالا مطلقا، لذا فإن الجمال المدرك أو النسبي، هو ما نقف عليه فعلا في موضعه الملائم، فمثلا حين يختار الرسام لوحته لا يختار أجمل الاشياء في الطبيعة ليرسمها، وانما يختار ما يلائم موضوعه أو الشكل الذي يريد تنفيذه في لوحته، والامر كذلك في الأدب، فلا يمنح اللوحة او القصيدة الجمال اختيار ما هو جميل أو قبيح في الطبيعة أ، ما يشير اليه، وانما يمنحها الجمال موقعها وتناسبه مع اجزاء العمل الفني او الأدبي.

وفرق ديدرو بين الجمال واللذة وحذر من الخلط بينهما، فنحن نعجب بالاشياء لجمالها من دون ان يحقق ذلك الاعجاب فائدة، غير الاحساس بالجمال، لنا . ولكنه لا ينكر كما هو الحال لدى افلاطون وارسطو أن تصوير الفضيلة محبوب والرذيلة بغیض؛ لأن " الحق والخير والجمال بينها وشائج وثيقة، أضف الى الخير والجمال بعض الصفات النادرة الوضاعة، فيصير جميلا"

2- الفيلسوف الألماني مانويل كانت (1724-1804) :

يعد كانت مؤسس الفلسفة المثالية الألمانية، وكان له تأثير كبير في الفلسفة المثالية للفن، ولاسيما في فنياني وأدباء ونقاد أوروبا وأمريكا. الفني، إذ اهتم بخصائص العمل في ذاته، فكل عمل فني ذو وحدة جوهرية فنية، تنحصر فيها الغاية. وينكر كانت نظرية افلاطون في خلود الجمال وانعكاسه في الطبيعة وان الفنان يحاكي صور ذلك الجمال بحسب موهبته هذا الانعكاس. وبرى كانت أن العمل الفني له بنية ذاتية، وجماله في هذه البنية، دون النظر الى مضمونها او غايتها .

ويرى كانت أن الحكم الجمالي يمتاز بخصائص تفرق بينه وبين الحكم العقلي والخُلقي، على النحو الآتي :

- أ- يتعلق الحكم على الجميل من حيث صفته ومصدره، إذ انه حكم صادر عن الذوق، ويصدر الذوق عن رضا لا تدفعه اليه منفعة . فالمنفعة الفنية لا تهتم بحقيقة موضوعها، بخلاف اللذة الحسية التي تتطلب التملك، فالفنان يعجب بفاكهة ليرسمها ن ولكنه لا يشتهي أن يأكلها .
- ب- الحكم الجمالي من حيث الكم والعموم، فالجميل هو الذي يعجب كل الناس. دون حاجة لأفكار مجردة، إذ نستطيع ادراك الجمال الحسي ، ونقومه تقويما عاما مشتركاً بين الناس، دون حاجة الى أفكار مجردة كما تحتاج معرفة الاشياء العامة الاخرى .

ت- الحكم الجمالي من حيث علاقة الوسيلة بالغاية، فالجمال هو الصورة الغائية لموضوعه، دون تصور لغاية أخرى من الغايات. فلو وجد عالم ليس فيه سوى الجمال كانت غايته في ذاته.

ث- الحكم الجمالي من حيث الذاتية والموضوعية: ويكون الحكم على ثلاث حالات : إما أن يكون تقريراً لحقيقة عن طريق التجربة، أو برهنة نظرية على قضية علمية، أو احتمال منطقي. إلا الجمال فإن حالته تقرير ما يدرك - ضرورة- ادراكاً ذاتياً ابتداءً، ولكنه موضوعي من ناحية التصور: بافتراض عموم الشعور لدى ذوي الأذواق. فالجميل هو ما يعترف له بهذه الصفة؛ لأنه مصدر شعور ذاتي بالرضا، دون حاجة إلى أفكار أو أقيسة يتطلبها الحكم الموضوعي. والجميل موضوعه متعة لا غاية لها، ولا علاقة لها بالمنفعة الحسية .

ويرى الباحثون أن فكرة كانت عن الجمال قاسية فالجمال المحض لا يتمثل سوى في الشكل المحض، لذا يتجلى الجمال المحض لديه في الأشكال التي يختفي منها المضمون، كالنقوش والزخارف والزينة في شكل الأوراق، وهي أشكال لا معنى لها في ذاتها ن ويتجلى الجمال المحض في الموسيقى غير المصحوبة بغناء. غاية مثالية ولكنه ليس جمالاً محضاً، فاقتزان الجمال بالخير يجعله غير خالص في جماله، بل يكون جمالاً تابعاً لغيره .

لقد سعى كانت إلى أن يحرر بفلسفته الفن من القيود التي تفرض من خارجه، فتعوق الخيال، وتحد من حريته، ورأى أن الفنون الجميلة مصدرها العبقرية الحرة.

و حين حصر كانت الجمال في الشكل، وجعل الجمال يدرك في ذاته، ورأى الجمال يتجلى في صورته المحض في الموسيقى والزخارف التي لا مضمون لها ن فكانت فلسفته دعامة لدعاة الفن للفن، والرمزيين ، والنقاد الذين تأثروا به في فرنسا، ومنهم مدام دي ستال وفكتور كوزان . أما أشهر الأدباء الذين تأثروا بفلسفته، من دعاة الفن للفن توفيل كوتيه، الذي صرح في مقدمة مجموعة أشعاره الأولى عام 1932 " يسألون : أية غاية يخدم هذا الكتاب، إن غايته أن يكون جميلاً" ومن الأدباء أيضاً الأديب الأمريكي ادغار آلان بو، الذي رأى أن الشعر هو الخلق الجميل الموقع، ويقصد فيه إلى التأمل في تجربة ذاتية لنقل صورتها الجميلة. ويرى أن صلة الشعر بالحقيقة من حيث جمالها لا من حيث البرهنة عليها، ومن الرمزيين الذين تأثروا بفلسفة كانت الشاعر الفرنسي بودلير (1821-1867)، الذي تأثر بكانت وادغار آلان بو، وقد صرح بأن " الشعر ليس موضوعه الحقيقة، وليس له موضوع سوى الشعر نفسه" وفي تسمية بودلير لديوانه (أزهار الشر) ما يدل على رؤيته للجمال حتى في الشر.